بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يرجعُ قراءُ الكتب العربية المحررة فى العصور الوسطى الإسلامية وفى أوائل العصر الحديث فيما يعترضهم من كَلِمٍ معربٍ أو دخيل إلى مجموعة المعجمات التى أفردها أصحابها لهذا النوع من الألفاظ .

وأشهر هذه الكتب هى : كتاب الجواليقى «المعرب من الكلام الأعجمى» وكتاب الشهاب الخفاجى «شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل» وكتاب مصطفى المدنى «المعرب والدخيل» وكتاب محمد بن أحمد العذرى البشبيشى «التذييل والتكميل لما استُعمل من اللفظ الدخيل» والمستدركات التى ألحقها مرتضى الزبيدى بأواخر المواد فى تاجه .

ويرجع المؤرخون منهم بخاصة إلى المستدرك العربى الفرنسى الذى حرره دوزى ، وربما رجعت قلة منهم إلى تذييل المستشرق فانيان على دوزى .

هذا فى المفردات اللغوية وبعض العبارات التى تتردد فى كتب التاريخ ، فأما إن أرادوا الكشف عن اصطلاح علمى عربى أو معرب فلا يسعفهم إلا مفاتيح العلوم للخوارزمى ، وتعريفات السيد الشريف الجرجانى وشرحها المفصل المعروف بالمتممات وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى .

ولكن هذه المصادر العظيمة النفع لم تحوكل المعرب والدخيل من المفردات والاصطلاحات ، لأنها لم تستقصها فى تراث العصور الوسطى الإسلامية وبداية العصر الحديث ، ولعل أصحابها أغفلوا على عمد كثيراً من الدخيل لاعتباره عامياً لا يستحق أن يدرج فى معجم .

هذا ، ونشر كتب التراث ماضٍ بخطًى حثيثة فى بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة وفى هذه الكتب طوائف من الكلمات التى عُرِّبت ، ثم بطل استعمالها ، والألفاظ الدخيلة التى ماتت ، ولابد لفهم هذه الكتب فهماً كاملاً من الوقوف على معانى ما ورد بها من المعرب والدخيل ، ولا يمكن التذييل على هذه المعجمات التى ذكرناها من قبل بكتاب واحد جامع يكمل النقص ويغلق باب البحث فى المعرب والدخيل ، بل يجب أن تتوالى الرسائل الصغيرة كلما ازداد عدد الكتب المنشورة وذلك بجمع ما فيها من المعرب والدخيل أولاً فأولاً ، كما يجب أن تزوّد هذه الكتب المنشورة بكشافات تأصيلية تكون بين أيدى المعجميين ؛ فربما ورد فى هذه الكشافات ما يستحق أن يدرج فى المعجم العربى .

ولقد حاولتُ الإسهام فى تيسير قراءة الكتب العربية الحافلة بالدخيل ،

فوضعت معجماً سمّيتُه (المتدارك) جمعت فيه فوات المعجمات من المعرب والدخيل الواردين فى الشعر والنثر العربيين ، وأصّلت كل كلماته المنحدرة من الفارسية أو التركية أو اللغات الأوربية الحديثة أو القديمة .

ولكنى لم أستطع بعد تهيئة هذا المعجم للنشر لغمة سيكشفها الله بلطفه ، .

وهذه الرسالة مستخرجة من (المتدارك) فقد كان تاريخ الجبرتى من مصادره ، استخرجتُ منه كثيراً من الكلم التركى ، وكثيراً من مصطلح التاريخ العثمانى .

ولما كان الأتراك العثمانيون قد ورثوا نظم الإدارة عن سلاجقة الروم وعن الإيلخانيين ، وعن المماليك فى مصر والشام ، وتأثروا فى حياتهم اليومية بالبيزنطيين ثم بالصقالبة بعد أن فُتحت عليهم أوربا الوسطى ، ثم تأثروا فى فترة اضمحلالهم الطويلة بأوربا الحديثة فقد دخلت فى لغتهم ألفاظ ومصطلحات من لغات هذه الأقوام جميعاً ، فنقلوها محرفة تارة وسليمةً تارة أخرى إلى البلاد العربية التى فتحوها ، وأجروها على ألسنة مثقفى العرب وأقلامهم .

ولقد كان الجبرتى من أعيان المثقفين فى عصره ، له أصدقاءُ علماءُ ورجال دواوين ، وكان سريع الالتقاط ، قوى الحافظة ، سريع التحرير للوقائع ؛ فلا جرم أن جمع فى كتابه كثيراً مما أدخله العثمانيون من ألفاظ ومصطلحات .

ولكن الجبرتى كان إلى كل ما تقدم كثير القراءة فى كتب العصر المملوكى ، واقفا على مصطلحهم ؛ فربما استعمل فى الجملة الواحدة المصطلح المملوكى والمصطلح العثمانى كأن يستعمل كلمة الرنك الفارسية بمعنى الشعار ، وهى اصطلاح مملوكى لا يعرفه العثمانيون مع كلمة نشان الفارسية بمعنى الشعار أيضاً

وهى اصطلاح عثمانى لم يستعمله المماليك ، بل ربما عدل الجبرتى عن المصطلح العثمانى إلى مصطلح العصور الوسطى : كأن يستعمل الأستادار والأتابك والمستوفى والخوشداش ، وهى كلها اصطلاحات أيوبية مملوكية لم توجد فى دولة العثمانيين .

ويجرى الجبرتى فى تعريب بعض الكلم التركى مجرى كبار الكتاب وأصحاب دواوين الإنشاء فى العصرين الأيوبى والمملوكى فهو مثلاً يحذف الهمزة المضمومة فى كلمتى (أوجاق) و (أوطاق) لتصبحا (وجاق) و (وطاق) . بكسر الواو .

وربما قلب الجيم المشوبة جيماً عربية كما فعل بكلمة جنك . وقلْبُ الجيم المشوبة جيماً عربية قاعدة مملوكية محدثة ؛ فقد جرى العرب الأولون على قلبها صاداً فقالوا الصنج والصين والصك ، فى جنك وجين وجك ، ولم تتخلف هذه القاعدة عندهم فيما أعلم إلا فى كلمة جادر فقد قلبوا جيمها المشوبة شيناً فقالوا (شوذر) .

وعلى هذه القاعدة قاعدة قلب الجيم المشربة شيناً جرى الجبرتى فى كل ما استعمل من اللفظ التركى والفارسى ذى الجيم المشوبة مخالفاً فى ذلك القاعدة المملوكية التى تقضى بقلب الجيم المشربة جيماً عربية والتى طبقها على كلمة جنك : فهو يقول مثلا فى الكلمة الفارسية ليمجه : النمشاه والنمشه بالشين ، فيهما وكان كتّاب العصور الوسطى يقولون : النيمجاه بالجيم .

ولا تثريب على هذا المؤرخ العظيم حين تحذلق ، فقلب الشين الأصلية فى الفارسية والتركية جيماً مشربة ؛ فقد جمع الكلمة التركية جاويش جمعاً فارسياً بإضافة الألف والنون مع قلْب الشين جيماً فجعل الكلمة جاوجان وهو رسم

إملائى لا يعرفه العرب ولا الفرس ولا الترك .

وكذلك فعل بكلمة شاكرد : فقد قلب شينها وكافها جيمين ، فقال جاجرت .

وجرى الجبرتى على قاعدة أخرى فى التعريب لعلها مصرية : فقد قلب الياء المتحركة بالضم أو بالكسر فى أول الكلمة همزة مضمومة أو مكسورة بحسب حركة الياء فقال فى كلمة يولداش : أولداش وأُلداش وأُلضاش بضم الهمزة ، وأما فى كلمة يكيجرى فقد رسمها هكذا الينكجرية ؛ ولكنه عاد إلى القاعدة فرسمها هكذا : الإنكشارية بكسر الهمزة كما ننطقها الآن .

ويستعمل الجبرتى مع الألفاظ الفارسية والتركية ألفاظاً عربية تصرّف فيها الأعاجم ، فاستعملوها فى غير ما وُضعت له : كالتمسّك بمعنى الإيصال ، واليكون بمعنى حاصل الجمع ، والمثال بمعنى الأمر ، والمواجب بمعنى الرواتب ، والمتفرقة والعزب علَمين على صنفين من أصناف الجند .

وقد اعتبرتُ هذا كله – على عروبته – دخيلاً ؛ لأن العرب لا تعرفه ولم يرد ، بهذه المعانى فى معجمات العربية .

وإلى هذا الخلط من الألفاظ الفارسية والتركية والعربية استعمل الجبرتى ألفاظاً يونانية أدخلها الترك فى أغلب الظن مثل البدرم والكيلار واللغم ، وألفاظاً إيطالية فرنسية مثل الغليون والقرابينة والكورنتيلة .

وقد رتبتُ الكلمات ترتيباً أبجديًّا ، ووضعت الألفاظ العربية فى أبوابها بحسب الاشتقاق فالمتاركة فى ترك والمتفرقة فى فرق والتمسك فى مسك إلخ .

ولما كان الجبرتى رحمه الله غير واقف على النحو العربى – كما نصّ هو نفسه فى المقدمة بقوله : « مع اعترافى بقصور الباع وفتور الطباع فى قوانين المعانى

العربية ودواوين المثانى الأدبية . . » - فقد تركت الأخطاء اللغوية والنحوية فى معظم ما أوردت من الشواهد لم أُشر إلا إلى الشائع والجسيم كإبقائه على نون جمع المذكر إذا كان مضافاً أو رفعه مفعولاً أو نصبه فاعلاً وقد اكتفيت فى مثل ذلك بوضع علامة تعجب .

وإذا كان دوزى قد قصر معجمه على ألفاظ العصور الوسطى ، وأطرح كل لفظ حديث ، ليحتفظ لمعجمه بطابع خاص - فإنى حرصتُ فى هذه الرسالة على تتبع كل اصطلاح أو لفظ لغوى معنىً ورسماً من لدن ظهوره فى العصور الوسطى أو قبل ذلك إلى أن بلغ الجبرتى ، وكان اعتمادى فى ذلك على الموسوعات العربية كصبح الأعشى والنجوم الزاهرة ونهاية الأرب وخطط المقريزى وترجمة كاترمير للسلوك وخطط على مبارك ، وعلى مخطوطتىّ لمدنى والبشبيشى ثم على المصادر التركية والأوربية كمعجم سامى بك ومستدرك باربيه دومينار على المعجمات التركية وعلى الأسفار الضخام التى حرّرها المغفور له أوزون جارشيلى فى تاريخ الدولة العثمانية ونُظمها وعلى كتاب جان دنى عن الأرشيفات التركية فى القاهرة وكتاب شو فى مالية مصر ورسالة دكتوراه الأستاذ أندريه ريمون عن الصناع والتجار فى القاهرة فى القرن الثامن عشر وهى سفران جليلان ومصادر أخرى ذكرتها فى مواضعها .

ونصُّ الجبرتى الذى استخرجتُ منه هذه المواد هو النص المطبوع بالمطبعة العامرة الشرفية التى مركزها بشارع الخرنفش من مصر المحمية سنة ١٣٢٢ هجرية ، وقد ذكرتُ فى نهاية كل شاهد رقم الجزء على اليسار ورقم الصفحة على اليمين ، وفعلت ذلك فى كل شاهد نقلته عن الكتب العربية الأخرى .

وأرجو أن يتقبل اللغويون والمشتغلون بالتاريخ هذه الرسالة بقبول حسن وأن تنفعهم جميعاً ،

وإذا أمّدنى الله بعافية البدن والبصر ونسأ فى الأجل فسأتم (المتدارك) ، والله المستعان .

أحمد السعيد

أستاذ ورئيس قسم اللغات الشرقية
بكلية الآداب - جامعة القاهرة

obeikandl.com